

الجزيرة المفقودة



تأليف

د. منى عثمان



دار المعارف

رسم

منال بدران

المكتبة الخضراء للأطفال

٥٦

الجزيرة المفقودة



رسوم
منال بدران

تأليف
دكتورة منى عثمان



وَفِي سَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ، حَكَمَ مَلِكٌ عَادِلٌ، مَمْلَكَةً سَعِيدَةً؛ لِأَنَّهُ
كَانَ لَا يَرُدُّ أَحَدًا خَائِبًا، وَلَا يَتَوَانَى عَنْ مُسَاعَدَةِ الْمُحْتَاجِ.

لذلك بَارَكَ اللهُ لَهُ فِي مَمْلَكَتِهِ وَاتَّسَعَتْ أَطْرَافُهَا.. وَزَادَ
ثَرَاؤُهَا.. وَأَحَبَّهُ شَعْبُهُ حُبًّا جَمًّا.. وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ ابْنٌ وَاحِدٌ
فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ أَسْمَاهُ فَهْدًا. كَانَ فَهْدٌ وَلَدًا مُطِيعًا جَمِيلَ
الصُّورَةِ، قَوِيَّ الْجِسْمِ، وَكَانَتْ وَالِدَتُهُ الْمَلِكَةُ فَخُورَةً بِهِ كَثِيرًا..
وَبَذَلَتْ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهَا مِنْ أَجْلِ تَنْشِئَةِ طِفْلِهَا الْوَحِيدِ تَنْشِئَةً
صَحِيحَةً.

أَرَادَ أَبُوهُ الْمَلِكُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّ شَعْبِهِ بِهِ.. فَعَاهَدَ بِهِ إِلَى
مُعَلِّمِ اسْمِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِيُعَلِّمَهُ وَيُعَدَّهُ لِيَكُونَ عَظِيمًا.. وَكَانَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ طَيِّبَ الْقَلْبِ، وَذُو خِصَالٍ حَمِيدَةٍ، فَأَحَبَّهُ فَهْدٌ كَثِيرًا.. وَكَانَا
يَخْرُجَانِ مَعًا إِلَى الْحَقُولِ وَالْغَابَاتِ فَيَدْرِبُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى الرَّمَايَةِ
وَالصَّيْدِ وَرُكُوبِ الْخَيْلِ.. وَقَدْ أَبْدَى فَهْدٌ شَجَاعَةً نَادِرَةً جَعَلَتْ مُعَلِّمَهُ
يَفْخَرُ بِهِ..

وَكَانَ أَبُوهُ دَائِمًا يَرُدُّ بِثِقَةٍ وَفَخْرٍ: هَذَا الْوَلَدُ سَيَكُونُ خَيْرَ مَلِكٍ
لِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ. كَانَ مُعَلِّمُهُ يَلَازِمُهُ وَيَخَافُ عَلَيْهِ.. حَتَّى إِنَّ غُرْفَتَهُ
الْخَاصَّةَ كَانَتْ مُجَاوِرَةً لْغُرْفَةِ الْأَمِيرِ فَهْدٍ وَلَا يَفْصَلُ بَيْنَهُمَا إِلَّا
بَابٌ صَغِيرٌ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، مَرَضَ الْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا. وَلَمَّا شَعَرَ الْمَلِكُ بِدُنُوِّ
أَجَلِهِ.. طَلَبَ زَوْجَتَهُ الْمَلِكَةَ وَابْنَهُ وَمُعَلِّمَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ..

فَتَحَ الْمَلِكُ عَيْنَيْهِ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ.. وَكَانَ يُحْمَلُ فِي الْهَوَاءِ وَيُرَدُّ
بِضَعْفٍ شَدِيدٍ: أَشْفَقُ عَلَيْكَ يَا بُنَى مِمَّا سَتُكَابِدُهُ بَعْدَ وَفَاتِي.. وَعَزَائِي
أَنْكَ فِي النِّهَايَةِ سَتَعْتَلِي الْعَرْشَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَظِيمُ.. ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ
لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ، وَبَكَى الْجَمِيعُ بُكَاءًا حَارًّا لِفِرَاقِ هَذَا الْمَلِكِ الْعَادِلِ..
فَالْعَدْلُ أَجْمَلُ صِفَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِهَا مَلِكٌ.

وَلَمْ تُمِهَلِ الْأَيَّامُ أَحَدًا.. فَبَعْدَ يَوْمَيْنِ اثْنَيْنِ حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي
الْحُسْبَانِ.. اسْتَيْقَظَ فَهَدٌ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ عَلَى أَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ وَهَرَجٍ
وَمَرَجٍ.. وَسُرْعَانَ مَا انْفَتَحَ الْبَابُ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَلِّمِهِ، الَّذِي
انْدَفَعَ وَالْخَوْفُ بَادِيًا عَلَى وَجْهِهِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِهِمْسٍ وَعَصَبِيَّةٍ: أَصَمْتُ
وَلَا تُصْدِرُ أَيَّ صَوْتٍ. وَلَفَّهَ فِي غِطَائِهِ.. وَحَمَلَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَانْطَلَقَ يَعْذُو..
وَلَا يَدِرُ فَهْدٌ إِلَى أَيْنَ.. وَلَا مَا الَّذِي حَدَثَ.. كَانَتْ الْأَحْدَاثُ كُلُّهَا سَرِيعَةً
وَكَأَنَّهُ فِي حُلُمٍ.. وَأَخِيرًا شَعَرَ فَهْدٌ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى أَرْضِيَّةٍ خَشَبِيَّةٍ
تَتَحَرَّكُ..

كَشَفَ مُعَلِّمُهُ عَنْ وَجْهِهِ لِيَتَنَفَّسَ بِحُرِّيَّةٍ.. وَأَمْرُهُ أَنْ يَظْلَّ هَادِيًا.. كَانَ
الْجَمِيعُ فِي قَارِبٍ صَغِيرٍ يَحْرُكُ بِمَجْدَافَيْنِ.. كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَجْدِفُ
بِأَحَدِ الْمَجَادِيفِ.. وَمَرَاكِبِي طَاعِنٌ فِي السَّنِّ يُجْدِفُ بِالْمَجْدَافِ الْآخَرِ..
وَأَخِيرًا اسْتَطَاعَ فَهْدٌ أَنْ يَسْتَرِدَّ جَأَشَهُ وَيَسْأَلَ: مَا هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ؟
- اللَّهُ نَجَاكَ بِأَعْجُوبَةٍ.. أَعْدَاءُ مَجْهُولُونَ هَجَمُوا بَغْتَةً عَلَى الْمَمْلَكَةِ،
وَأَحْوَالُهَا مَا زَالَتْ مُضْطَرِبَةً بَعْدَ وَفَاةِ الْمَلِكِ.. ثُمَّ اقْتَحَمُوا الْقَصْرَ يُرِيدُونَ





قتلك، ليستعمروا المملكة ويحكموها.. صاح فهد بصوت تكاد تخنقه العبرات: ووالدتي؟ أشاح عبد الرحمن:
- لا أعرف شيئاً عنها.. كنت أنت الهدف.. ولم يتسع الوقت إلا لإنقاذك أنت.

شعر فهد بالخوف على والدته، وأخذ يدعو الله أن يحفظها وينجيها. انتبه فهد على صوت معلمه: وصلنا إلى الجزيرة المهجورة.. هيا استعد للنزول. صاح فهد بخوف: الجزيرة المهجورة؟ ألا تخشى الجن والأشباح التي تسكنها.

أجابه معلمه بنفاذ صبر: هذا هو المكان الوحيد الذي لن يتعقبنا فيه أحد. لاذ فهد بالصمت، والخوف يسرى في أوصاله، وهو يتذكر الحكايات المروعة التي سمعها من الكثيرين عن الجان الذي يسكن هذه الجزيرة التي هجرها الجميع ولم يجروا أحد على الذهاب إليها منذ زمن طويل. ولم ينس عم سعيد المراكبي أن يُعطيها كيساً به بعض الأشياء الهامة التي قد تُعينهما، ثم مسح على رأس فهد وقبل جبينه وقال: أبوك الملك كان له فضل كبير على.. وأنا لن أتخلي عنك أبداً. وسوف أزورك كلما سُنحت الفرصة..

كانت الجزيرة مهجورة وموحشة.. وكان فهد يمشي خائفاً متشبثاً بيد معلمه.. كان الموقف عصيباً، وعبد الرحمن يدور في الجزيرة بفهد. ليجث عن مكان ملائم للمبيت.. وأخيراً وجد

فجوةً في أحد الجبال المنتشرة على الجزيرة تؤدي إلى كهفٍ.. أشعل
عبد الرحمن شعلةً من النار، ودخل بحذرٍ يتبعه فهد.. فوجد
المكان جافاً.. آمناً وبعيداً عن اتجاه الرياح.. فجلس جانباً مع فهد
حتى تهدأ أنفاسُهُما، ولكن التعب الشديد سرعان ما أخذ فهداً إلى
سُباتٍ عميقٍ.. وبقي مُعلمه وحيداً يفكر فيما آل إليه أمرُهُما حتى
غلبه النومُ هو الآخر..

أخيراً فتح فهد عينيه وبقي ساكناً، وكأنه ما زال في حلمٍ عجيبٍ..
فبدلاً من رؤية غرفته الفخمة وفرشه الدافئ، وجد نفسه نائماً في
كهفٍ بالجبل، فوق الأرض الجافة!! جلس فهد مكانه، ليرتب أفكاره،
ويتأكد مما حدث الليلة السابقة. إذن ما حدث لم يكن حلمًا. يا إلهي!!
وأسندَ جبينه على ذراعيه المعقودتين فوق رُكبتيه المُنثنتين
لأعلى.. ولم يدر كم من الوقت مرَّ وهو جالسٌ هكذا.. حتى انتبه
على حركةٍ بجانبه، فرفع وجهه، ونظر فإذا بِمُعلمه قد استيقظ من
نومه، وهاله ما وجد عليه فهداً من حُزنٍ وأسى.. فأخذ يمسحُ رأسه
بحنانٍ ثم قال: يا بُني هذه مِحْنةٌ كبيرةٌ لنْ يستطيع إنقاذك منها إلا
الله، وعلينا بالصلاة والدعاء والصبر حتى يجعل الله لنا مخرجاً.. ثم
ضمَّه إلى صدره وأردف وصوته يختلج: لقد عَوَّضَنِي اللهُ بك عن ابني
الذي فقدته وهو في مثل عُمرِكَ.. وَلَنْ أَدَّخِرَ وسْعاً في مُساعدتك حتى
لو ضحيْتُ بروحي من أجلك.



مرَّ الوقتُ بطيئًا وهما جالسانِ يُفكرانِ في صمتٍ، حتَّى سكنتِ الرِّيحُ تمامًا، فخرجَا يستكشِفانِ المكانَ معًا.. سرَّ فهد ومعلّمهُ برؤيةِ أشجارِ الموزِ والبرتقالِ على البعدِ.. فأسرعا إليها وأخذَا يلتهمانِ الفاكهةَ التي كانتْ لذيذةً جدًّا حتَّى شعرا بالشَّبَعِ.. ثمَّ حملًا بعضًا منها إلى الكهفِ الذي يختبئانِ فيه، وتعجبا أنهما لم يقابلا جنًّا ولا شبحًا واحدًا على الجزيرة.. ومعَ مرورِ الأيامِ استطاعا أن يتأقلا مع هذه الحياة الخشنة.. وكانا كلُّ يومٍ يضيفانِ شيئًا جديدًا للكهفِ؛ حتَّى يعيشا في أمانٍ وسلامٍ. فقد علّمهُ عبدُ الرحمنِ كيفَ يَجْدُلُ الحبالَ ويصنعُ السلالَ.. ويصيدُ الأسماكَ التي كانتِ المصدرَ الرئيسيَّ لغذائهما معَ الفاكهةِ.. وتعجبَ الإثنانِ كيفَ يهجرُ الناسُ جزيرةً مُمتلئةً بكلِّ هذه الخيراتِ.. كما استعانَا بالأشياءِ التي أعطاهَا لهُما عَمُّ سعيدِ المراكبي، فَقَدْ وَجَدَا بينها فأسًا وسِكينا، وأوانىَ وغيرها مِنَ الأشياءِ الضَّروريةِ.. ولكنَّ ما كانَ يُورِقُهما تأخُرَ عَمِّ سعيدٍ عليهما، فَقَدْ مرَّ شهرٌ وهما ينتظرانِ.. وأخيرًا نفذَ صبرُ عبدِ الرحمنِ فقالَ لفهدٍ وَقَدْ أَخَذَ قَرَارَهُ:

— لن نستطيعَ الجلوسَ هكذا مكتوفى الأيدي.. سنبدأُ في صنْعِ قاربٍ صغيرٍ مِنْ خَشَبِ هذه الأشجارِ.

تحمَّسَ فهدٌ وَقَدْ سَرَّهُ أَنْ يقومَ بهذا العملِ كثيرًا.. وبالرغمِ مِنْ أَنَّ العملَ كانَ شاقًّا إلاَّ أنهما بالعزيمةِ والجهدِ المتواصلِ استطاعا عمَلِ قاربٍ بدائى صغيرٍ..





كَانَ التَّعَبُ قَدْ حَلَّ بِهِمَا..

فَانْصَرَفَا إِلَى كَهْفِهِمَا.. وَرَاحَا فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ..

وَمَا إِنَّ بَزَغَتْ أَوَّلُ خُيُوطِ الْفَجْرِ، حَتَّى انْتَبَهَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى حَرَكَةٍ غَيْرِ عَادِيَةٍ بِالْخَارِجِ.. فَتَنَاوَلَ سَيْفَهُ وَانْدَفَعَ لِلْخَارِجِ يَسْتَطْلِعُ مَاذَا يَحْدُثُ، فَوَجَدَ عَمَّ سَعِيدٍ يَرْسِي قَارِبَهُ وَيَهْبِطُ مِنْهُ فَصَاحَ: أَخِيرًا أَتَيْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْعَجُوزُ. تَأَخَّرَتْ كَثِيرًا. تَقْدِمَ عَمُّ سَعِيدٍ وَهُوَ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ، وَيَحْمِلُ عَلَى كَتِفِهِ جَوَالًا كَبِيرًا وَيَقُولُ: لَمْ أَجِدْ فُرْصَةً مُوَاتِيَةً، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْكَشِفَ أَمْرُنَا فَفَضَلْتُ التَّرِيثَ.

كَانَ فَهْدٌ قَدْ اسْتَيْقَظَ عَلَى الْأَصْوَاتِ الْعَالِيَةِ الَّتِي لَمْ يَتَعَوَّدْ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، فَهَرَّوَلَ إِلَى مَدْخَلِ الْكَهْفِ، وَطَارَ فَرَحًا عِنْدَمَا رَأَى عَمَّ سَعِيدٍ الْمَرَاقِبِي، وَاسْتَقْبَلَهُ مُهَلِّلاً: مَرْحَبًا بِكَ.. أَرَاكَ أَحْضَرْتَ لَنَا شَيْئًا.

ضَحِكَ الْمَرَاقِبِي وَأَخَذَ يَخْرُجُ لَهُمَا مَا بَدَاخِلَ الْجَوَالِ.. أَخْرَجَ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَأُرْزًا وَزَبْدَةً، وَسُكْرًا وَمُضْبَاحًا وَأَشْيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَةً تَنْفَعُهُمْ فِي هَذَا الْكَهْفِ الْبِدَائِي. وَلَكِنْ ظَلَّ فَهْدٌ مُطَّرِقًا فِي جِلْسَتِهِ وَهُوَ يُلْفُ ذِرَاعِيَهُ حَوْلَ سَاقِيهِ إِلَى أَعْلَى وَقَالَ فِي حَزْنٍ: مَعْنَى كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَحْضَرْتَ أَنَّنَا سَنَمُكُّ طَوِيلًا هُنَا. لَكِنْ مَاذَا عَنْ وَالِدَتِي؟

فَقَالَ عَمُّ سَعِيدٍ مُخَفِّفًا عَنْهُ: لَا عَلَيْكَ يَا بَنَى.. فَوَالِدَتُكَ بِخَيْرٍ. صَاحَ فَهْدٌ بِغَضَبٍ شَابَهُ الْحَزَنُ: فَقَدْتُ أَبِي الْحَبِيبَ، ثُمَّ أُمِّي وَعَرْشِي، وَأَعِيشُ كَالْحَيَوَانَاتِ الضَّالَّةِ فِي هَذَا الْكَهْفِ الْكَثِيبِ. صَاحَ عَمُّ سَعِيدٍ:

لَا يَا بُنَى.. اخْذِرْ أَنْ تَفْقَدَ شَجَاعَتَكَ وَثِقَتَكَ بِاللَّهِ وَبِنَفْسِكَ، فَكَّرْ دَائِمًا
أَنْ أَمَكَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ، وَالشَّعْبُ كُلُّهُ يَنْتَظِرُ الْيَوْمَ الَّذِي سَتَعُودُ فِيهِ
لِتُخَلِّصَهُم مِّنَ الْمُسْتَعْمِرِ..

جَلَسَ الرَّجُلَانِ يَلْفُفُهُمَا صَمْتُ حَزِينٍ.. وَلَمْ يُبَدِدِ الصَّمْتُ إِلَّا صَوْتُ فَهْدٍ
وَهُوَ يُصَلِّي وَيَبْتَهِلُ إِلَى اللَّهِ. وَدَعَهُمَا عَمَّ سَعِيدٍ وَهُوَ يَعِدُ فَهْدًا بِمُحَاوَلَةِ
الْوُصُولِ لَوَالِدَتِهِ؛ لِيَطْمَئِنَّهَا عَلَيْهِ وَيَطْمَئِنَّنَّهُ عَلَيْهَا. مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَفَهْدٌ
يَنْتَظِرُ عَمَّ سَعِيدٍ بِفَارِغِ الصَّبْرِ، وَأَفْكَارُهُ الْقَلْقَةُ تَقْضُ مَضْجَعَهُ.. تُرَى مَاذَا
حَدَّثَ لَأُمِّي؟.. هَلْ تَعْلَمُ أَنَّنِي مَا زِلْتُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ؟.. وَهَلْ.. وَهَلْ..
وَأَسْئَلُهُ كَثِيرَةً تَدُورُ بِعَقْلِهِ وَهُوَ يَقُومُ بِأَعْمَالِهِ الْمُعْتَادَةِ فِي صَمْتٍ.

فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ اسْتَيْقَظَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ نَوْمِهِ، فَهَالَهُ أَنْ فَهْدًا
لَمْ يَكُنْ بِجَوَارِهِ.. قَفَزَ مَسْرِعًا وَانْطَلَقَ لِلخَارِجِ يَبْحَثُ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ..
وَأَخِيرًا وَجَدَهُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ مُنْهَمِكًا فِي قَطْعِ جَذْعِ شَجَرَةٍ لِيَصْنَعَ مِنْهَا
مَجْدَافَيْنِ لِلْقَارِبِ.. ابْتَدَرَهُ قَائِلًا: مَاذَا تَفْعَلُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ نَظَرَ
فَهْدٌ إِلَيْهِ بِإِصْرَارٍ وَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ الْإِنْتِظَارَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.. سَأُذْهَبُ
بِالْقَارِبِ الَّذِي صَنَعْنَاهُ لِأَبْحَثَ عَنْ وَالِدَتِي..

سَأَتَخَفَّى فِي مَلَابِسِي الْقَدْرَةِ الْمَمْرُوقَةِ هَذِهِ، وَلَنْ يَخْطُرَ بَبَالٍ أَحَدٍ أَنَّنِي
الْأَمِيرُ. أَطْرَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُفَكِّرًا بُرْهَةً.. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِفَهْدٍ:
- بَلْ سَأُذْهَبُ أَنَا مُتَخَفِيًا وَعَلَيْكَ أَنْتَ الْبَقَاءُ هُنَا، وَلِتَحَافِظْ عَلَى
نَفْسِكَ.





انطلق عبد الرحمن بالقارب، وفهد لا يكف عن التلويح له حتى غاب عن عينيه.

مر الوقت ثقيلاً على فهد الذي أثر التجول بالجزيرة، وتسلق الجبال.. وبينما كان يتسلق أحد الصخور، هَوَتْ به، وسقط سقطة آلمته، وعندما نهض تعجب من وجود فتحة بالجبل كانت تخفيها تلك الصخرة..

كانت الفتحة مدخلاً لكهف كبير. تردد فهد قليلاً ثم استجمع شجاعته، ودخل يدفعه الفضول.. وجد عدداً كبيراً من الصناديق الخشبية فتح أحدها بالاستعانة بسكينة، فوجد الصندوق مملوءاً بالحلى والآلى والماس والعملات الذهبية.. تعجب فهد ثم فتح صندوقاً ثانياً وثالثاً.. كان بالكهف ثروة من الحلى والآلى، أخذ فهد يحمل فيهما غير مُصدق لعينه، وهو يتساءل لمن هذا الكنز؟.. ومن أحضره هنا؟ ظل فهد يذهب كل يوم إلى الكهف، ويتسلى بفتح الصناديق الخشبية ويعيث بمحتوياتها. وفي اليوم الخامس كان يتفرج على الآلى والحلى، فسمع أصواتاً عالية تأتي من بعيد.. فانطلق فرحاً محدثاً نفسه، أخيراً عاد معلماً وعم سعيد.. فما كاد يخرج من الكهف ويمعن النظر إلى صفحة الماء بعيداً، حتى كاد قلبه ينخلع رعباً. فقد كان هناك خمسة من القوارب الصغيرة فوقها بعض الصناديق ورجال كثيرون.. انطلق فهد كالسهم إلى الكهف الذي ينام

فِيهِ، وَجَمَعَ بَعْضَ الْحَاجَاتِ الْهَامَّةِ بِسُرْعَةٍ، وَعَادَ مُتَخَفِيًا لِيَلْقَى
نَظْرَةً إِلَى الْقَوَارِبِ الْخَمْسَةِ.. فَرَأَى رَجَالًا، عَلَى الشَّاطِئِ، تَبْدُو عَلَى
مَلَامِحِهِمُ الْقَسْوَةَ وَالْإِجْرَامَ.. وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُمْ عِصَابَةٌ مِنَ اللَّصُوصِ،
يَحْتَفِظُونَ بِالمُسْرُوقَاتِ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِ أَحَدٍ..

أَعْمَلَ فَهَدَ عَقْلَهُ بِسُرْعَةٍ.. فَلَابَدَّ لَهُ مِنَ الْاِخْتِبَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ سَيُدْرِكُونَ
أَنَّهُ دَخَلَ مَخْبَأَهُمْ وَرَأَى كَنْزَهُمْ وَسَيُلْحِقُونَ بِهِ الْأَذَى. تَسَلَّلَ فَهَدَ
مُبْتَعِدًا دُونَ أَنْ يَلْحَظَهُ أَحَدٌ، إِلَى الْجَانِبِ الْخَلْفِيِّ مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَأَخْرَجَ
عُودًا مِنَ الْبُوصِ الْمَجُوفِ، وَأَطْبَقَ عَلَيْهِ شَفَتَيْهِ، وَرَبَطَ كَيْسَ حَاجَاتِهِ
عَلَى وَسَطِهِ، ثُمَّ غَاصَ سَرِيعًا فِي الْمَاءِ مُخْفِيًا عُودَ الْبُوصِ بَيْنَ الْأَعْشَابِ
الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ، وَظَلَّ سَاكِنًا فِي مَكَانِهِ، يَتَنَفَّسُ بِانْتِظَامٍ
مِنْ فَمِهِ بِمُسَاعَدَةِ عُودِ الْبُوصِ..

وَلَمْ يَكْذِبْ حَدْسَهُ.. فَبِمَجْرَدِ أَنْ دَخَلَ اللَّصُوصُ الْكَهْفَ وَوَجَدُوا
الصَّنَادِيقَ مَفْتُوحَةً وَالْحُلَى مُتَنَاثِرَةً هُنَا وَهُنَاكَ حَتَّى جُنَّ جُنُونُهُمْ،
وَانْطَلَقُوا يَبْحَثُونَ فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ عَنْ أَيِّ إِنْسَانٍ، فَوَجَدُوا الْكَهْفَ
الَّذِي يَنَامُ فِيهِ فَهَدَ وَمُعَلِّمُهُ، وَوَجَدُوا أَعْطِيَتَهُمْ وَأَدَوَاتَهُمْ، وَتَأَكَّدُوا أَنَّ
هُنَاكَ مَنْ تَجَرَّأَ وَجَاءَ إِلَى الْجَزِيرَةِ بِالرَّغْمِ مِنْ قِصَصِ الْجَانِ وَالْأَشْبَاحِ الَّتِي
أَلْفَوْهَا وَنَشَرُوهَا بَيْنَ النَّاسِ؛ لِيَمْنَعُوهُمْ مِنَ الْمَجِيءِ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ.
صَرَخَ أَحَدُ اللَّصُوصِ فَقَالَ: لِنَنْطَلِقْ جَمِيعًا وَنَقْبِضْ عَلَى مَنْ فَعَلَ
ذَلِكَ بِمُسْرُوقَاتِنَا وَنَقْطَعَهُ إِرْبًا إِرْبًا حَتَّى لَا يُفْشَى سِرُّنَا. اتَّجَهَ أَفْرَادُ





العصابة إلى منطقة الأشجار يبحثون فيها.. وهنا انتهز فهد الفرصة الذهبية، ووضع عود البوص في حزامه حول وسطه، وأخذ يسبح بمهارة تحت سطح الماء متجهاً إلى الجانب الأمامي من الجزيرة، حيث توجد قوارب العصابة.. أخرج رأسه بحذر، ونظر يمينه ويساره ثم قفز إلى أحد القوارب، وأخذ يجدف بكل قوته مبتعداً..

وعلى البعد شاهد أفراد العصابة يشيرون ويصيحون بغضب، وقد قفز رجلان إلى أحد القوارب، وأخذوا يجدفان بكل قوة ليلحقا بفهد.. وهنا دب الخوف في نفسه، فقد كان الرجلان أشد منه قوة وحنماً سيستطيعان اللحاق به.. أخذ فهد يجدف بكل قوته، وقلبه يبتهل إلى الله أن ينقذه من براثن هذين اللصين اللذين أخذوا يقتربان منه. وهو يدعو ويتضرع إلى الله أن ينقذه، وبينما مد أحدهما ذراعيه ليتشبث بحافة قارب فهد.. إذا بحوت ضخمة تأتي من أسفل قارب الأشرار، ويقلبه رأساً على عقب، وتتعالى صيحات الرجلين، وفهد يتشبث بمجدافيه وقد اضطرب الماء بشدة حتى كان أن ينقلب قاربهم هو الآخر.. ولكن حركة الماء دفعته بعيداً.. وأخذ يبتعد أكثر وأكثر وهو يسمع صيحات اللصين اللذين أنزل الله سبحانه وتعالى عقابه عليهما.. أخذ فهد يشكر الله ويحمده على نجاته.. وأخيراً ظهرت اليابسة عن بعد، فتشجع وأخذ يزد من سرعة تجديفه حتى وصل إلى الأرض، وأرسي القارب وربطه في جذع شجرة، ثم ارتقى في ظل الشجرة وقد خارت قواه لفرط



التعب والانفعال.. غاب عن وعيه ولم يشعر بنفسه إلا وقد اشتدت حرارة الشمس وقت الظهيرة.. فتح فهد عينيه وقد نال منه الإعياء والجوع والعطش الشديد.. وفجأة تذكر أن بالقارب صندوقاً صغيراً لم يتسع الوقت للعصابة لتنقله إلى الجزيرة.. فأخرج سكيناً من حزامه المربوط حول وسطه، وما إن فتح الصندوق حتى تسمّر من المفاجأة.. فقد وجد حلّى أمه الذهبية التي يعرفها جيداً.. تسارعت دقات قلبه، وتحسّس الحلّى وهو يتساءل بذهول، كيف حصل عليها أولئك اللصوص؟! وماذا فعلوا بأُمّى؟ وتساقطت دموعه وهو يفكر أن الأشرار لابد أنهم أصابوها بسوء.. ثم تناول خاتماً صغيراً ووضع بكيسه، ثم حمل الصندوق وتسلق الشجرة وربطه جيداً بفروعها العالية وأخفاه بين الأوراق.. ثم هبط وتلفت حوله ليتأكد أن أحداً لم يره.

اتجه فهد إلى السوق وهو متأكد أن أحداً لن يعرفه.. فملا بسه بالية ومظهره بائساً.. وبينما هو يمشى وجد نفسه أمام مطعم تنبعث منه رائحة شهية فاتجه إليه مسرعاً.. كان صاحب المطعم نحيلًا يشعُّ المكر والدهاء من عينيه. أمّا امرأته فكانت بدينة لها وجه فيه نَمَش وعينان ضيّقتان لا تقلُّ مكرًا ودهاءً عن زوجها.. وقف فهد عند الباب باستحياء عندما وجدهما ينظران إليه باحتقارٍ وضيقٍ ثم دخل بخطى مترددة.. وقبل أن يصل إلى المائدة الصغيرة، صاحبت المرأة بصوت كريه: أنت أيها المتسول.. انصرف سريعاً. غضب فهد وصاح فيها

بكرامة جريحة: لست متسولاً أيتها المرأة.. فقال زوجها بصوت رفيع كالفأر: ومن أين لك ثمن ما ستأكله؟

مدَّ فهد يده في كيسه وأعطاه الخاتم الماسي، وقال: سأبيع هذا وأدفع لكما ما تريدان ثمنًا للطعام. تبادل الرجل والمرأة نظرة لئيمة ثم انحنى له الرجل وقال: تفضل يا سيدي.. وأشار بيده لإحدى الموائد وأسرع بإحضار أصناف شتى من الطعام اللذيذ.. انقضَّ فهد على الطعام وأكل ما اشتتهت نفسه، وتجرَّع الماء، ثم جلس ساكنًا وقد هدا بعد إحساسه بالشبع.. نادى على الرجل الذي كان يراقبه وقال: أريد باقي المال لأنصرف الحين، كشر الرجل عن أنيابه قائلاً: أي مال؟ أنت لم تعطيني مالاً، استدرك فهد بسرعة: أقصد المال المتبقى من ثمن الخاتم الماسي، جاءت المرأة ووقفت بجوار زوجها متحفزة: أي خاتم أيها المجنون؟ نحن لم نر خواتم، انقضت المرأة البدينة على فهد ودفعته للخلف فوقع على الأرض ثم سحبتَه مع زوجها إلى خارج المطعم وهما يصيحان عاليًا ليسمعهما الناس جميعًا في السوق: اخرج أيها المتسول من هنا.. لقد أطعمناك إشفاقاً عليك.. والحين تريد سرقتنا.. الشرطة.. الشرطة. شعر فهد بيد الشرطي تهوى على ظهره. فأخذ فهد يصيح: أيها اللصوص الأشرقياء.. أنتم الذين سرقتم خاتم والدتي الماسي.. وهنا دفعه الشرطي بقسوة وهو يصيح: خاتم والدتك الماسي أيها المتشرد القذر.. هيا إلى المكان الذي يجب أن يودع فيه أمثالك.





زُجَّ بفهد المسكين في السجن في غرفة مظلمة.. ولم يكن يفكر في شيء، ولكن كانت صوراً سريعة متلاحقة تتوالى على ذاكرته.. أمه.. أبوه.. عبد الرحمن.. القصر.. الجزيرة.. أصحاب المطعم الأشرار.. تملكه اليأس.. لكنه تذكر وصية معلمه بالصبر والصلاة.. فتوجه بقلبه إلى الله يدعوه أن يفرج عنه كربته ويزيل آلامه..

فجأة تعالت أصوات وسمع وقع أقدام غليظة تقترب من باب الزنزانة.. ومع صوت المفاتيح والمزاليج كأن قلبه يدق بعنف وهو لا يدري ماذا سيفعلون به.. وما إن فتح الباب حتى وجد اثنين من الجنود يمسكان بتلابيب رجل كان يصرخ بهلع، أنا بريء.. أنا لم أسرق شيئاً، صاح فيه أحد الجنود بصوت أجش: اخرج أيها اللص.. والويل لك، ودفعه دفعة قوية أطاحت به أرضاً.. وأغلقوا الباب بعنف. أخذت الشفقة بقلب فهد.. فنهض واتجه للرجل وربت على ظهره.. انتفض الرجل وارتد للوراء: من.. أوجد أحد هنا؟، كانت النافذة العلوية ذات القضبان الحديدية ترسل بعضاً من نور الفجر الباهت.. أجاب فهد بصوت خفيض: نعم.. إنه أنا.. قبض الرجل على ذراعيه بقوة وسأله بانفعال: أنت من؟ ودقق النظر جيداً في الضوء الخافت ثم هتف بفرحة غامرة فهد.. سيدي الأمير أكاد لا أصدق نفسي.. عانقه وهو يصيح بسعادة: عم سعيد.. عم سعيد.

وبعد أن هدا اللقاء سأله عم سعيد بتعجب: ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ألم ينصحك عبد الرحمن بالمكوث في الجزيرة حتى يعود إليك.



قَصَّ عَلَيْهِ فَهْدَ مَا حَدَّثَ لَهُ فِي الْجَزِيرَةِ.. وَكَيْفَ هَرَبَ بِأَعْجُوبَةٍ.. وَمَا إِنْ
عَلِمَ عَمَّ سَعِيدٌ أَنَّ فَهْدًا وَجَدَ حُلِيَّ الْمَلِكَةِ.. حَتَّى أَخَذَ يَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ
وَيَتَعَجَّبُ.. ثُمَّ قَالَ لِفَهْدٍ بِأَنْفَاسٍ مُتَقَطِّعَةٍ: جَاءَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَذَهَبْنَا
سَوِيًّا لِلْقَصْرِ نَسْتَظِلُّ أَخْبَارَ وَالدَّتْكِ الْمَلِكَةِ.. وَظَلَّلْنَا نَدْوَرَ حَوْلَ النِّوَافِذِ
وَنَنْظُرُ خِلَالَهَا حَتَّى اهْتَدَيْنَا إِلَى مَكَانِ الْمَلِكَةِ. صَاحَ فَهْدٌ: أُمِّي.. كَيْفَ
حَالُهَا؟ هَمَسَ عَمَّ سَعِيدٌ: اخْفِضْ صَوْتَكَ يَا بُنَيَّ.. الْحِرَاسُ مُنْتَشِرُونَ
بِالْخَارِجِ، ثُمَّ هَمَسَ: الْحَاكِمُ الْعَدُوُّ طَاغَ وَجِبَارٍ.. سَلَبَهَا كُلَّ حُلِيِّهَا وَحَبَسَهَا
بِأَحْدَى الْغُرَفِ الْعُلَوِيَّةِ بَعْدَ أَنْ رَفَضَتْ الزَّوْاجَ مِنْهُ.. وَهِيَ مُسْكِينَةٌ تَبْكِي
لَيْلَ نَهَارٍ.. تَرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ أَخْبَارَكَ.. وَقَدْ شَاهَدْنَاهَا وَقَدْ نَحَلَتْ وَعَصَفَ
بِهَا الْأَلَمُ. صَاحَ فَهْدٌ وَالْغَضَبُ يَتَأَجَّجُ فِي صَدْرِهِ: هَذَا الْوَعْدُ يَرِيدُ أَنْ يَحُلَّ
مَحَلَّ أَبِي.. وَأَرْدَفَ وَهُوَ يَزْدَرِدُ دُمُوعَهُ: هَلْ تَحْدِثُتُمَا مَعَهَا؟! أَجَابَهُ
عَمَّ سَعِيدٌ: طَرَقْنَا بِخَفَّةٍ عَلَى زُجَاجِ النَّافِذَةِ.. وَمَا إِنْ شَاهَدَتْ مُعَلِّمَكَ
حَتَّى انْدَفَعَتْ تَفْتَحُ النَّافِذَةَ وَتَدْخُلُنَا حِجْرَتَهَا.. قَلْنَا لَهَا إِنَّكَ بِخَيْرٍ فِي
الْجَزِيرَةِ وَظَلَلْتَ تَسْأَلُنَا بِلَهْفَةٍ عَنْكَ وَنَحْنُ نُجِيبُهَا.. حَتَّى سَمِعْنَا أَحَدَ
الْجَنُودِ الْوَاقِفِينَ خَارِجَ حِجْرَتِهَا يَفْتَحُ الْبَابَ.. وَقَدْ تَمَكَّنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
لِقُوَّتِهِ مِنَ الْوُثُوبِ بِسُرْعَةٍ خَارِجَ النَّافِذَةِ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، أَمَّا أَنَا فَأَمْسَكُوا
بِي وَاتَّهَمُونِي بِسُرْقَةِ حُلِيِّ الْمَلِكَةِ، وَأَخَذُونِي وَالْمَلِكَةُ تَنْظُرُ إِلَيَّ وَقَدْ عَقَدَ
الْخَوْفُ لِسَانَهَا.. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا حَدَّثَ حَتَّى أَتَقَابَلَ مَعَكَ وَأَعْرِفَ مَا
حَدَّثَ لَكَ فِي الْجَزِيرَةِ.. لَكِنْ كَيْفَ وَصَلْتُ هَذِهِ الْحُلِيَّ إِلَى الْجَزِيرَةِ؟!

قَصَّ فهد حكايته حتَّى قال له الرجل بإصرارٍ : سَنَنْتَقِمُ مِنْ كُلِّ الَّذِينَ آذَوْكَ وَأَلْحَقُوا بِكَ الضَّرَرَ.. أَنَا وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ تَمَكَّنَّا مِنَ الْإِتِّصَالِ بِكُلِّ الْمَنَاضِلِينَ الَّذِينَ يَقَاوِمُونَ الْعَدُوَّ. وَقَبْلَ أَنْ يَكْمَلَ كَلَامُهُ أَلْقَى إِلَيْهِمَا حَجَرًا مِنْ بَيْنِ قَضَبَانِ النَّافِذَةِ.. كَانَ الْحَجَرُ مَلْفُوفًا بِوَرَقَةٍ.. ائْتَدَعَ فَهْدٌ وَأَخَذَ الْوَرَقَةَ وَفَتَحَهَا وَقَرَأَهَا بِهِمْسٍ : قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَ الْفُطُورَ فَتَشْ فِيهِ جَيِّدًا.

تَبَادَلَا النِّظَرَاتِ وَقَدْ تَجَدَّدَ الْأَمَلُ فِي نَفْسِ فَهْدِ الَّذِي ابْتَسَمَ بِسَعَادَةٍ.. وَمَا هِيَ إِلَّا فِتْرَةٌ قَصِيرَةٌ حَتَّى سَمِعَا رَفْعَ الْمَزَالِيحِ وَالْمِفَاتِيحِ تَدَوُّرُ فِي الْأَقْفَالِ ثُمَّ دَخَلَ جَنْدِيٌّ مَمْسِكًا بِصَفْحَةِ طَعَامٍ وَضَعَهَا عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ دُونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ.. ائْتَنَّا حَتَّى ابْتَعَدَتْ وَقَعُ أَقْدَامِ الْجَنْدِيِّ ثُمَّ بَحَثْنَا بَيْنَ ثَنَائِيَا طَاوِلَةِ الطَّعَامِ فَوَجَدْنَا حَبْلًا طَوِيلًا مَلْفُوفًا وَمَنْشَارًا لِقَطْعِ الْحَدِيدِ أَخْفَاهُ فِي مَلَابِسِهِ بِحَذَرٍ وَقَالَ بِفَرَحَةٍ لِفَهْدٍ : كُلْ يَا بُنَيَّ حَتَّى لَا يُسَاوِرَهُمْ شَكٌّ فِينَا. عَادَ الْجَنْدِيُّ لِيَأْخُذَ الْأَطْبَاقَ ثُمَّ أَغْلَقَ الْبَابَ.

اتَّجَهَ فَهْدٌ وَعَمُّ سَعِيدٍ إِلَى النَّافِذَةِ.. جَلَسَ عَمُّ سَعِيدٍ مُنْحَنِي الظَّهْرِ ، فَوَقَفَ فَهْدٌ فَوْقَ ظَهْرِهِ وَأَخَذَ يَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ فِي قَطْعِ قَضَبَانِ النَّافِذَةِ بِالْمَنْشَارِ. كَانَ عَمُّ سَعِيدٍ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ يَحْتَهُ عَلَى الْإِسْرَاعِ قَبْلَ عَوْدَةِ الْحَارِسِ وَقَتِ الْغَدَاءِ ، فَتَكُونُ الْكَارِثَةُ الْكُبْرَى.. فَأَخَذَ فَهْدٌ يَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ حَتَّى أُزِيلَتْ كُلُّ الْقَضَبَانِ الْحَدِيدِيَّةِ مِنَ النَّافِذَةِ.

رَبَطَ عُمُ سَعِيدِ الْحَبْلِ حَوْلَ وَسْطِ فَهْدٍ، وَأَنْزَلَهُ مِنَ النَّافِذَةِ بِبَطْءٍ حَتَّى
وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ النَّافِذَةِ كَانَتْ مُفَاجَأَةً مُذْهَلَةً لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ
الَّذِي جَاءَ خَصِيصًا كَيْ يَنْقِذَ عُمَ سَعِيدٍ، فَإِذَا بِهِ أَمَامَ فَهْدٍ فَعَانَقَهُ وَهُوَ
بَيْنَ الْفَرَحَةِ وَالذُّهُولِ. أَنْتَ أَيُّهَا الْفَهْدُ الصَّغِيرُ.. كَيْفَ جِئْتَ إِلَى هُنَا،
هَمَسَ إِلَيْهِ فَهْدٌ وَقَلْبُهُ يَتَرَاقِصُ فَرَحًا، سَأَقْصُ عَلَيْكَ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ أَنْ
يَنْزِلَ عُمُ سَعِيدٍ. كَانَ عُمُ سَعِيدٍ يَنْزِلُ بِبَطْءٍ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى الْحَبْلِ ذِي
الْعُقْدِ، وَهُمَا يُرَاقِبَانِهِ بِقَلْقٍ.

وَانْطَلَقَ ثَلَاثَتُهُمْ هَارِبِينَ بِسُرْعَةٍ، وَكَأَنَّهُمْ يُسَابِقُونَ الرِّيحَ..
وَعَلَى مَسَافَةٍ لَيْسَتْ بَعِيدَةً كَانَ هُنَاكَ جُنْدِيَيْنِ مِنَ اتِّبَاعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
يَمْتِطِيَانِ جَوَادَيْنِ، وَمَعَهُمَا ثَلَاثَةُ جِيَادٍ أُخْرَى. قَفَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
إِلَى جَوَادٍ وَانْطَلَقَ الْخَمْسَةُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ.. وَفَجَأَةً اعْتَرَضَ طَرِيقَهُمْ
نَهْرٌ صَغِيرٌ، فَصَرَخَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا تَتَوَقَّفُوا.. اقْفُزُوا بِاسْمِ
اللَّهِ.. فَقَفَّزُوا إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ وَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ أَنْفُسَهُمْ.. وَأَخِيرًا
فِي أَقْصَى الْغَابَةِ كَانَ هُنَاكَ بَيْتًا خَشَبِيًّا مُتَهَالِكًا يَتَصَاعَدُ مِنْهُ دُخَانٌ..
دَخَلُوا إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ تَرَكُوا الْخَيْلَ تَرْعَى الْعُشْبَ.. فُوجِئَ عُمُ سَعِيدٍ
وَفَهْدٍ، بَعْدَ كَبِيرٍ مِنْ جُنُودِ الْمَلِكِ الرَّاجِلِ الْأَوْفِيَاءِ، الَّذِينَ هَلَّلُوا
وَحَمَدُوا اللَّهَ عَلَى عَوْدَةِ فَهْدٍ. ثُمَّ أَخَذُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي كَيْفِيَّةِ التَّخْلُصِ
مِنَ الْعَدُوِّ الْغَاشِمِ.

وهنا قصّ عليهم فهد كلّ ما حدث له على الجزيرة المهجورة..
تعجّب الجميع وصاح أحدهم: لا بدّ أنّ رئيس العدو لصّ حقير،
وزعيم لهذه العصاة الخطيرة.. وإلا فكيف وصلت حليّ الملكة
هناك. أجابه الثّاني: إذن ستكون البداية من تلك الجزيرة المحاطة
بالغموض.

انطلق خمسون جندياً في طريقهم إلى الجزيرة، وهم مُستعدون
لمركبة طاحنة، وقد انتظرهم عشرون قارباً للإبحار. أمّا فهد وعم
سعيد، فلا بدّ لهما من الراحة بعد العناء والمشقة الشديدة. وكان عبد
الرحمن هو رئيس جماعة المناضلين، فبقى - مع من بقي - ينتظر
الجنود.

وفي الليلة التالية جلس الجميع يترقب، والانفعال الشديد يبدو
على وجوههم، حتّى سمعوا وقع حوافر الخيل تأتي من بعيد، فانطلقوا
جميعاً للخارج.. كان المشهد مفرحاً جداً وهم يرون كلّ جنديّ يحمل
وراءه أحد اللصوص مكبلاً بالسلاسل في يديه ورجليه، وكانوا يحملون
معهم الصناديق والأكياس المحتوية على المسروقات..

أصدر عبد الرحمن أوامره للرجال أن يتبعه الجميع.. وما إن استردّ
الجميع أنفاسهم حتّى نظر إليهم قائد الجنود الخمسين العائدين من
المركبة بزهو قائلاً: ألم أقل إنّ البداية ستكون في الجزيرة المهجورة..





وَأَشَارَ إِلَى أَفْرَادِ الْعَصَابَةِ الْمَحْكَمِ وَثَاقَهُمْ، وَهُمْ جَالِسُونَ يَنْظُرُونَ بِذِلَّةٍ..
لَقَدْ اعْتَرَفُوا بِكُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَيْكُمْ الْأَخْبَارُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَخْطُرُ بِبَالِكُمْ،
وَأَشَارَ إِلَى أَحَدِهِمْ. لَقَدْ اعْتَرَفَ لَنَا أَنَّ الْحَاكِمَ الْجَدِيدَ، الَّذِي هُوَ عَدُونَا،
مَا هُوَ إِلَّا رَئِيسُ عَصَابَةٍ هَؤُلَاءِ اللَّصُوصِ قَاطِعِي الطَّرِيقِ، وَقَدْ سَوَّلَتْ
لَهُ نَفْسُهُ الْخَسِيسَةُ بِأَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى بِلَادِنَا، وَقَدْ نَهَبَ هُوَ وَرَجَالُهُ كُلَّ
مَا اسْتَطَاعَتْ أَيْدِيهِمْ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ فِي الْقَصْرِ وَخَارِجِ الْقَصْرِ أَيْضًا.

التفت عبد الرحمن إلى رجال العصابة وسألهم بغلظة وتهديد:
هَلْ تَخْتَارُونَ الْحَيَاةَ فِي نَعِيمِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْحَقِيقِيِّ - أَشَارَ لِفَهْدٍ - أَمْ
تَخْتَارُونَ الْمَوْتَ قَتْلًا فِي التَّوَّ وَاللَّحْظَةِ. ارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمْ ذَلِيلَةً تَطَالِبُ
بِالْصَّفْحِ عَنْهُمْ وَالْبَقَاءِ عَلَى حَيَاتِهِمْ. أَرَدَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِحِدَّةٍ: إِذَنْ
فَعَلَيْكُمْ تَنْفِيزُ كُلِّ مَا سَنَأْمُرُكُمْ بِهِ وَإِلَّا.. وَسَكَتَ وَالشَّرُّ يُتَطَايَرُ مِنْ
عَيْنَيْهِ، وَالْعَصَابَةُ تَرْتَعِدُ فَرَانِصُهَا مِنَ الرُّعْبِ. ثُمَّ اسْتَطَرَدَ: عَلِمْتُ أَنَّكُمْ
اعْتَرَفْتُمْ أَنَّ رَئِيسَكُمْ اللَّصَّ الْأَكْبَرَ، أَمْرُكُمْ بِأَنْ تَأْتُوا إِلَيْهِ مَرَّةً كُلَّ شَهْرٍ
لَيْلَةَ اكْتِمَالِ الْقَمَرِ؛ لِيَطْمِئِنَّ عَلَى نَشَاطِ عَصَابَتِهِ الْآثِمَةِ وَيَرَى حِصَادَ
جَرَائِمِكُمْ، وَأَشَارَ إِلَى صَنَادِيقِ الْمَسْرُوقَاتِ - وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَتُسَاعِدُونَا
عَلَى الدَّخُولِ إِلَيْهِ فِي عُقْرِ دَارِهِ.. وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيَكُونُ
سِلَاحُهُ قَرِيبًا مِنْ عُنُقِ أَحَدِكُمْ لِقَطْعِهِ عِنْدَ آيَةٍ مُحَاوَلَةٍ لِلْغَدْرِ..

وَأَفَقَ اللَّصُوصُ وَقُلُوبُهُمْ تَرْتَعِدُ رُغْبًا.. وَمَا إِنْ حَانَ مَوْعِدُ لِقَاءِ الْعَصَابَةِ
مَعَ رَئِيسِهِمْ حَتَّى تَنْكَرَ أَفْرَادُ الْعَصَابَةِ فِي زِيٍّ قَافِلَةٍ مِنَ التَّجَارِ وَوَضَعُوا

على العربات - التي تجرّها الجياد - عددًا كبيرًا من الصناديق الخشبية، التي زعموا أنها محملة بالبضائع. وطلبوا أن يدخلوا على الحاكم ليعرضوها عليه.. فهم الحاكم العدو على الفور، أنهم أفراد عصابته، فأذن لهم بالدخول فورًا، ثم أنزلوا الصناديق كلها في القاعة المغلقة، وجلست العصابة تنتظر دخول الملك..

ومّا إن جاء الملك سريعًا مُنتشيًا، حتّى نهض أفراد عصابته، وعلى وجوههم الرعب والذل على غير العادة.. فتلفت بخوف يُمَنّة ويُسرة وصرخ فيهم: ما بكم؟ ماذا حدث؟ أخبروني بسرعة.. وهنا دفع الجنود الذين كانوا مختفين داخل الصناديق أغطية الصناديق من الداخل، وخرجوا شاهرين سيوفهم وهم يصيحون فيه: سنخبرك - نحن - بما سيحدث لك أيّها اللص.. وسرعان ما كبّلوه وانتشروا في أنحاء القصر يُقاتلون ويأسرون الأعداء الذين قتل منهم من قتل، وأسر منهم من أسر وفرّ الباقي كما يفرّ الفأر الجبان..

ومّا إن لاحت تباشير النصر حتّى اندفع فهد إلى الطابق العلوي يبحث عن أمّه التي أحست بالفوضى، وسمعت الأصوات العالية، وأخذت تدق الباب بشدة من الداخل وتصرخ مُطالبةً بفتح الباب.. كان فهد ممسكًا بحربة وسيف، فدفع الحربة بقوة في قفل الباب الذي انفتح على مضراعيه.. وقفت أمّه أمامه غير مُصدّقة نفسها، وهو ينظر إليها مُبتسمًا.. ألقي من يده الحربة والسيف، واندفع مُتعلقًا بأمّه التي تشبّثت به، وراحت تبكي من فرط الفرحة..





وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ حَتَّى اسْتِطَاعَ الْجُنُودُ التَّخْلُصَ مِنَ الْعَدُوِّ
وَالسَّيْطَرَةَ عَلَى كُلِّ مَرَافِقِ الْمَمْلَكَةِ. وَلَمْ يَنْسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ يُوقِعَ الْعِقَابَ
عَلَى صَاحِبِ الْمَطْعَمِ وَزَوْجَتِهِ اللَّذَيْنِ أَنْكَرَا وَجُودَ أَيِّ خَاتَمٍ مَعَهُمَا..
وَعِنْدَ تَفْتِيشِ الْمَكَانِ الَّذِي يَعِيشَانِ فِيهِ عَثَرَ عَلَيْهِ الْجُنُودُ فِي عُلْبَةٍ دَاخِلِ
خَزَانَةِ الثِّيَابِ.. وَاقْتِيدًا لِلْسَّجْنِ بِتَهْمَةِ سَرَقَةِ الْفَتَى الصَّغِيرِ، وَالْكَذِبِ
عَلَى الشَّرْطَةِ.

أَمَّا الْجَزِيرَةُ الْمَهْجُورَةُ فَأَمَرَ فَهْدٌ بِنَاءَ بُيُوتٍ لِلصَّيَّادِينَ فِيهَا، وَسُمِّيَتْ
بِجَزِيرَةِ الصَّيَّادِينَ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ الْجَمِيعُ أَنَّ قِصَصَ الْجَانِّ وَالْأَشْبَاحِ كُلُّهَا
أَكَاذِيبٌ وَافْتِرَاءَاتٌ نَسَجَهَا اللَّصُوصُ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ وَصَدَّقُوهَا..

وَفِي يَوْمِ الْإِحْتِفَالِ بِالنَّصْرِ، وَقَفَ فَهْدٌ فَوْقَ الْمَنَصَّةِ وَوَالِدَتُهُ الْمَلِكَةُ
عَنْ يَمِينِهِ، تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا الثَّمِينَةِ، وَعَنْ يَسَارِهِ مُعَلِّمُهُ الْمَخْلُصُ الَّذِي
حَمَلَ التَّاجَ أَمَامَ جَمُوعِ الشَّعْبِ وَوَضَعَهُ فَوْقَ رَأْسِ الْمَلِكِ فَهْدٍ. وَعَيْنَ
مُعَلِّمِهِ وَزِيرًا وَمُسْتَشَارًا لَهُ.. وَكَانَ عَمُّ سَعِيدٍ يَقِفُ بِجَانِبِ مُعَلِّمِهِ
الْوَزِيرِ بِمَلَابِسِهِ الْفَخْمَةِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُ الْأَمِيرُ مِنْ خَاصَّتِهِ الْمُقَرَّبِينَ..
وَوَسَطَ تَصْفِيقِ الْجَمِيعِ وَهَتَّافِهِمْ لِفَهْدٍ، كَانَتْ تَتَرَأَّى لِعَيْنَيْهِ صُورَةُ أَبِيهِ
الرَّاحِلِ، وَصَوْتُهُ الْحَبِيبُ يَرْنُ فِي أُذُنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ بِاسْمًا:

سَتَكُونُ خَيْرَ مَلِكٍ حَكَمَ هَذِهِ الْبِلَادَ.